ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

أثر المعراج النبوي في رسالة الخلود

The Effect of al-Meeraj al-Nabavi on the Message of al-Khalud

Dr Sami ullah
Assistant Professor Arabic
University of Education Lahore, Jauharabad Campus
samiullah@ue.edu.pk
Dr Abdul Malik
PHD seerah May, 2022 international Islamic university Islamabad
Malikmansori@gmail.com
Najeeb Ullah
Mphil Scholar Minhaj University Lahore
memonnajeebullah11@gmail.com

Abstract:

The Ascension of the Prophet represents a great event in the history of the Islamic message and is one of the most prominent miracles that God bestowed on the Prophet Muhammad. According to the message of Al-Khulood, the effect of al-Miraj can be analyzed from several aspects. This event confirms that the message brought by the Prophet is not confined to the earth or material things, rather it is an eternal message that has a spiritual extension that crosses the boundaries of time and space, and is connected to what is eternal and everlasting. Ascension reflects the strong relationship between Allah and His Messenger, where the Prophet (peace be upon him) ascended to the heavens and crossed the Hijab to meet Allah. This honors the idea that the Islamic message aims to build a direct relationship between man and his creator, a relationship based on monotheism and continuous spiritual contact. This relationship is the key to al-Khalud in Islam, where it is believed that the soul is immortal and returns to its creator. Al-Mu'raj gives rise to belief in the unseen, which is one of the pillars of Islamic faith. As the events of Al-Meeraj go beyond the scope of the human experience, which pushes Muslims to believe beyond the perception of the senses. This belief in the unseen opens the chapter of meditation on the afterlife and immortality after death, and promotes the understanding of worldly life as part of a wider path that includes eternal life. In al-Miraj, the Prophet ﷺ crossed the boundaries of time and space, which shows that the Islamic message seeks to liberate human beings from the constraints of this world and towards the Hereafter and eternity. This trip is a symbolic representation of spiritual and moral perfection, which is the basis for achieving the hereafter.

Through al-Miraj, the Prophet (peace be upon him) quoted many details about paradise and hell, what is appreciated in the souls of Muslims is a clear vision of the hereafter. This vision gives the worldly life a deeper meaning and makes the pursuit of the hereafter an essential part of the Islamic faith. In the Ascension, prayer is obligatory on Muslims, which shows the importance of prayer as a link between man and the Creator, and the importance of this action in the pursuit of perfection. The prayer, which you perform during this event, is considered as a means of daily spiritual communication with Allah, and to confirm that continuous worship is the way to immortality in the Hereafter. Through this event, Muslims are reminded that the Hereafter is the ultimate goal, and that the pursuit of God and adherence to the teachings of Islam represent the way to achieve eternal immortality.

Keywords: al-Meeraj, al-Nabavi, al-Khalud, Prophet, Muslims, Relationship

المعراج النبوي يمثل حدثاً عظيماً في تاريخ الرسالة الإسلامية ويُعدّ من أبرز المعجزات التي وهبها الله للنبي محمد ﷺ. من منظور رسالة الخلود، يمكن تحليل أثر المعراج من عدة جوانب تعزز مفهوم الخلود في الرسالة الإسلامية: يعتبر المعراج رحلة روحية عظيمة بين السماء والأرض، تُبرز الاتصال المباشر بين النبي ﷺ والملأ الأعلى. هذا الحدث يؤكد أن الرسالة التي جاء بها النبي ليست محصورة في الأرض أو الأمور المادية، بل هي رسالة خالدة لها امتداد روحي يعبر حدود الزمان والمكان، تتصل بما هو أبدي وأزلي. يعكس المعراج العلاقة القوية بين الله ورسوله، حيث ارتقى النبي ﷺ إلى السموات العلا وتجاوز الحجب ليلتقي الله. هذا يعزز فكرة أن الرسالة الإسلامية تهدف إلى بناء علاقة مباشرة بين الإنسان وخالقه، علاقة قائمة على التوحيد والتواصل الروحي المستمر. هذه العلاقة هي مفتاح الخلود في الإسلام، حيث يُعتقد أن الروح تبقى خالدة وتعود إلى خالقها. المعراج يرسخ الإيمان بالغيب الذي يعد أحد أركان العقيدة الإسلامية. إذ أن أحداث المعراج تتجاوز نطاق التجربة الحسية للإنسان العادي، مما

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

يدفع المسلمين للإيمان بما وراء الإدراك الحسي. هذا الإيمان بالغيب يفتح باب التأمل في الحياة الآخرة والخلود بعد الموت، ويعزز فهم الحياة الدنيوية كجزء من مسار أوسع يشمل الحياة الأبدية. في المعراج، تجاوز النبي ﷺ حدود الزمان والمكان، مما يدل على أن الرسالة الإسلامية تسعى إلى تحرير الإنسان من قيود الدنيا والاتجاه نحو الآخرة والخلود. هذه الرحلة تمثل رمزاً لقيمة التحرر الروحي والمعنوي الذي يعد أساساً لتحقيق الخلود الأخروي.

من خلال المعراج، نُقلت للنبي ﷺ الكثير من التفاصيل عن الجنة والنار، مما يعزز في نفوس المسلمين رؤية واضحة للآخرة. هذه الرؤية تمنح الحياة الدنيوية معنى أعمق وتجعل السعي نحو الخلود الأخروي جزءاً جوهرياً من العقيدة الإسلامية، حيث يعتبر المسلمون أن الحياة الدنيا مجرد مرحلة قصيرة مقارنة بالحياة الأبدية في الآخرة. في المعراج فُرضت الصلاة على المسلمين، مما يدل على أهمية الصلاة كصلة بين الإنسان وخالقه، وأهمية هذا العمل في تحقيق الخلود. الصلاة، التي تم فرضها خلال هذا الحدث، تعتبر وسيلة للتواصل الروحي اليومي مع الله، وتأكيداً على أن العبادة المستمرة هي طريق للخلود في الآخرة. المعراج النبوي يعتبر محطة رئيسية في تعزيز رسالة الخلود التي تحملها الرسالة الإسلامية. من خلال هذا الحدث، يُذكّر المسلمون بأن الحياة الآخرة هي الهدف النهائي، وأن السعي نحو الله والالتزام بتعاليم الإسلام يمثلان الطريق لتحقيق الخلود الأبدي.

فكرة العروج السماوي

إن موضوع العروج السماوي هو مقتبس من المعراج النبوي، حيث إن المعراج النبوي كان أكمل الرحلات الموردية وأسعها وأوضحها في البيان الإثارة والإقناع والرواية. ولا شك في أن شاعر رسالة الخلود محمد إقبال قد اقتبس أيضا فكرته العروج السماوي من المعراج النبوي، وهناك أدلة كثيرة التي تدل على هذا الأمر والتي سوف نذكرها في الصفحات الآتية. والدليل أكثر إقناعا وإثارة هو أن الشاعر محمد إقبال كان شاعرا وافلسفيا مسلما وذا اطلاع وسيع على المصادر الإسلامية وقد نظم أبياتا كثيرة في موضوع المعراج النبوي في منظوماته المختلفة فكيف له أن يأخذ الفكر من مصادر أخرى مثل الكوميديا الالهية وغيرها من أعمال الأدب السماوي، وألا يتخذ أسلوب المعراج النبوي والذي كان رحلة حقيقية وحيدة ولا برحلة خيالية فكرية؟

أخذ إقبال فكرة العروج السماوي من المعراج النبوي واتخذ أسلوب قصة المعراج النبوي في السرد القصصي الى أكثر حد ممكن. وكان ينظر في المعراج النبوي، ليس فقط من منظور العقيدة والإيمان بل من منظور الفلسفة والعلم (Science) أيضا. وبيته شاهد عليه الذي قال فيه:

سبق ملا ہے یہ معراج مصطفی سے مجھے
کہ عالم بشریت کی زد میں ہے گردوں[1]

أي: قد تعلمت من المعراج النبوي أن العالم السماوي يمكن الإنسان تسخيره.

ليس هذا فقط، بل نظم إقبال أبياتا كثيرة في شرح حقيقة المعراج المحمدي من منظورات مختلفة. وكان يظن أن المسلمين قد أهمل للمعراج النبوي وحقائقه مثل كثير من القضايا التي صرف المسلمون النظر عنها، وكان يريد أن يؤلف الرسالة في شرح أسرار المعراج النبوي وحقائقه منذ وقت طويل، أثناء ذلك صدر بعض أعمال أدبية نقدية على الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي دانتي البغيير يو التي اعترف النقاد فيها أن دانتي قد تأثر بقصة المعراج النبوي وأخذ فكرته للعروج السماوي منها ومن شروح المعراج النبوي والرسالات المعراجية التي ألفها المسلمون فيما بعد ففكر إقبال أنه لو ألف شرح المعراج النبوي بأسلوب عام فلا يمكنه أن يوسع فكره وأن يحيط بكل ما يريد ولا يمكنه إثارة رسالته في نفوس الناس، فبدأ بالتفكير أن يؤلف رسالة المعراج بصورة تمثيلية مثل دانتي البغيير ي، فألفها على صورة منظوة تمثيلية وأحاط فيها بكل ما يدور في ذهنه وفكره عن القضايا والمسائل وبين رسالته على ألسنة الشخصيات الماضية الشهيرة وسماها جاويد نامه على اسم ابنه جاويد إقبال[2]

يتضح من خلال كل ما سبق في الفقرة السابقة التي اقتبست من مقال رفيق إقبال تشودهري محمد حسين، أن الشاعر نظم منظومته التمثيلية رسالة الخلود أو جاويد نامه في شرح حقائق المعراج النبوي وأسراره، كما انه أحاط فيها بقضايا الأمة المسلمة خاصة ومسائل الإنسانية كلها عامة.

[1] إقبال، محمد، الدكتور (2018م) كليات إقبال الأردية لاهور: إقبال أكادمي پاكستان، مي: 367
[2] حسين محمد، تشودهرى (1901م - 2000م) جاويد نامه شامله اقباليات كے سو سال (مالة منة من مجلة اقباليات، الناشر: محمد سهيل عمر، لاهور: إقبال اكادمى پاكستان، من: 1035

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

وهذا هو الأمر الذي يعلمه كل من له أدنى إلمام برسالة الخلود أو جاويد نامه، والذي يتبين من خلال قراتها أن الشاعر يشرح حقائق المعراج النبوي بأسلوبه الخاص كما أنه بين قضايا الملة الإسلامية والناس ومسائلهم. وأسلوبه الخاص أنه يبين القضايا على ألسنة الشهرين الماضيين، فيشرح حقائق المعراج وأسراره وفلسفة عروج النبي الله الى الامكان في الحضرة الأهية على لسان مرشده ودليله جلال الدين الرومي في تمهيد أرضي التمهيد زميني، والتي سوف تذكرها في الصفحات التالية.

علاوة على ذلك، يدل على اتخاذ الشاعر فكرة العروج السماوي من المعراج النبوي، ذكر المعراج النبوي لوازمه في رسالة الخلود أو جاويد نامه في عدة مقامات. يذكر الشعر قصة المعراج النبي ولوازمها عدة مرات في ملحمته أي رسالة الخلود تلميحا وكناية، سنذكر بعض شواهد المعراج النبوي من رسالة الخلود أو جاويد نامه فيما يلي كي يتضح لنا الأمر أن الشاعر تأثر بقصة المعراج النبوي وأحداثها إلى حد بعيد.

شواهد المعراج النبوي في رسالة الخلود:

لو تأملنا في رسالة الخلود أو جاويد نامه نجد أن الشاعر ذكر حقائق المعراج النبوي ولوازمه شرخا أو تلميحا أو كناية في عدة مقامات أثناء صياغة ملحمته، وهذا الأمر يدل على إلمام الشاعر بقصة المعراج النبوي وحقائقها وتاثره بها. فسنذكر بعضا منها فيما يلي:

الأول

ذكر إقبال تلميحا وكناية في رسالة الخلود في باب التمهيد سماوي المتهيد، آسماني) عروج رسول الله إلى الإمكان في الحضرة الإلهية حيث كان قاب قوسين أو أدنى، وأوحى الله إليه ما أوحى وأراه من آياته الكبرى. وذلك هو المقام الذي لم يكن الجبريل -عليه السلام- أن يصل إليه. فذكر الشاعر لازمة من لوازم المعراج وهو أن جبريل عليه السلام -لايمكنه الوصول إلى المقام الذي قد وصل إليه البشر من بني آدم وهو رسول الله محمد. فقال الشاعر:

راه دان انديشه اوبي دليل　　چشم او بيدار تو از جبرئيل [3]

أي سيكون فكره (أي البشر) يعلم الطريق بغير أي دليل أو مرشد، وعيناه أكثر حدة من عيني جبريل -عليه السلام- (أي يمكنه أن يصل إلى المقام الذي لم يصل إليه جبريل).

ترجم الدكتور المصري هذا البيت بالعربية منظوما كما يلي:

يهتدي الفكر و من غير الدليل　　عينه يقضي وفاقت جبرئيل [4]

هذا البيت من باب تمهيد سماوي (تمهيد آسماني) الذي ذكر الشاعر فيها لوم السماء للأرض باليوم الأول لخلقها، فتقلق الأرض من ملامة السماء لها، فلما يراها الشاعر فاقة يقول لها لا تقلق أيتها الأرض الأمينية الغفاة عن أمانتها سيهبط عليك الآدم (أي البشر) والذي سيكون أفضل من الملائكة والمخلوقات كلها..

من هذا يذكر الشاعر في هذا البيت قصة المعراج النبوي كتابية، فقال أن البشر الذي سيهبط على الأرض سيكون فكره يهتدي الطريق ولن يكون له حاجة إلى أي دليل أو مرشد، والذي ستكون عينه أكثر حدة ويقظة من عين جبريل -عليه السلام، أي أنه رأى ما لا يمكن الجبريل -عليه السلام- رؤيته، ووصل إلى ما لا يمكن الجبريل -عليه السلام- الوصول إليه.

من المعلوم أن المقام الذي لا يمكن الجبريل -عليه السلام- الوصول إليه، ووصل إليه الإنسان هو مقام قاب قوسين أو أدنى، والإنسان الذي وصل إليه هو رسول الله، ووصل إليه ليلة معراجه، فذكر الشاعر قصة المعراج النبوي وأسراره بأسلوبه الرائع جدا، قال الدكتور يزداني في شرح هذا البيت -باللغة الأردية-

وبعبارة أخرى، بالإشارة إلى المعراج النبوي، أن البشر سيصل إلى مقام في اللامكان الذي لا يمكن
الجبريل -عليه السلام- الوصول إليه، فوصل سيدنا رسول الله ﷺ إلى الحضرة الإلهية ماوراء
السدرة المنتهى التي لم يستطيع الجبريل عليه السلام- التجاوز عنها. [5]

---

[3] إقبال، محمد الدكتور (1994م) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، من: 489
[4] الغوري، عبد الماجد (1428هـ / (2007) ديوان محمد إقبال عربي منظوم)، بيروت: دار ابن كثير، ج 2، ص 144
[5] يزداني، خواجه حميد، الدكتور (2015) شرح جاويد نامه لاهور: منشورات سنك حيل، ص: 21

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

الثاني

ذكر محمد إقبال قصة المعراج النبوي في رسالة الخلود تحت عنوان تمهيد أرضي (المهيد زميني) كناية وتلميحا، ويشرح فلسفة المعراج النبوي بأسلوب وجيز جامع على لسان مرشده جلال الدين الرومي -رحمه الله.. لايمكننا أن نقدم فلسفة المعراج النبوي عند إقبال بالتفصيل هنا، كما أننا نتحدث هنا عن شواهد المعراج النبوي ولوازمه في رسالة الخلود فحسب، فسوف نقدم فلسفة المعراج النبوي عند الشاعر محمد إقبال بتفصيل كبير في الصفحات التالية تحت عنوان مستقل.

فذكر الشاعر محمد إقبال المعراج النبوي هنا على لسان الرومي يمثل الشاعر أن يتراءى له روح الرومي فسأله عن الموجود وغير الموجود والمحمود وغير المحمود. فأجاب عنه الرومي إجابة طويلة، ومن خلال جوابه يعرف الرومي الحياة وقال:

بر مقام خود برسيدن زندگی است. ذات را بے پردہ ديدن زندگی است.

مرد مومن در نسازد با صفات مصطفی راضي نشد إلا بذات

چيست معراج؟ آرزوئے شايدے امتحانے روبروئے شاہدے[6]

أي: الحياة هي وصول الإنسان إلى مقامه، وهو النظر إلى الذات بلا حجاب. لايقنع المؤمن بالصفات فقط، والنبي المصطفى لم يرضي إلا بذات الحق. ما المعراج؟ هو رجاء للشاهد، وهو الاختبار الذاتي أمام الشاهد.

ترجم الدكتور المصري هذه الأبيات باللغة العربية منظوما كالتالي:

الحياة هي للذات الوصول وهي ذات ليس يكفيها سدول

تلائم مومنا قط الصفات ما اختيار للمصطفى إلا الذات لم

ماهو المعراج؟ مرجاة الشاهد واختبار، وتراه عين شاهد[7]

ذكر الشاعر في هذا المقام فلسفة المعراج النبوي بأسلوب وجيز جامع على لسان الرومي، والتي قد منا منه ثلاثة أبيات فقط التي تعنينا هنا، لو تأملنا في الأبيات الثلاثة المذكورة أنفا لوجدنا ذكر معراج رسول الل في البيت الثاني، حيث يقول الشاعر إن المؤمن لايقنع بالصفات كما أن النبي المصطفى لم يرض بالصفات فحسب إلا بالذات، أي أنه لم يرض بتجلي الصفات في الدنيا فقط، بل وصل إلى ماوراء سدرة المنتهى في الحضرة الإلهية ليلة معراجه، كما ذكر الدكتور يزداني في شرح البيت الثاني من الأبيات المذكورة -باللغة الأردية-:

يعني أن رسول الله ﷺ لم يرض إلا برؤية الله تعالى، يتحدث الشاعر إشارة إلى المعراج النبوي.

أي أن المؤمن يصل إلى ذات الحق بوسيلة الصفات[8]

الثالث

الشاهد الثالث من شواهد المعراج النبوي ولوازمه في رسالة الخلود، هو أن الشاعر لما وصل إلى فلك العطاردة -والذي هو فلك ثاني من الأفلاك التي زارها الشاعر أثناء سيره إلى العالم السماوي.. رأى الشاعر هنا السيد مولانا جمال الدين الأفغاني أنه كان يوم بالسعيد حليم باشا فذكر الشاعر أن الأفغاني كان يتلو في صلاته سورة النجم.

فيمثل الشاعر ذلك المشهد بقوله:

قرآت آن پير مردان سخت كوش سورة والنجم و آن دشت خموش[9]

اى: كان شيخنا المجاهد أي الأفغاني يتلو سورة النجم في تلك الصحراء الصامتة.

---

[6] إقبال، محمد، الدكتور (1994م) كليات إقبال الفارسية، لاهور : إقبال أكادمي باكستان، ص: 492

[7] الغوري، عبد الماجدة (1428هـ / 2007م) ديوان محمد إقبال (عربي منظوم)، بيروت: دار ابن كثير، ج: 2، ص: 148

[8] يزداني، خواجه حميد، الدكتور (2015) شرح جاويد نامه، لاهور: منشورات سنك ميل، ص: 30

[9] إقبال، محمد، الدكتور، (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، ص: 533

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

ترجم الدكتور المصري هذا البيت باللغة العربية منظوما كمايلي:

سورة النجم تلاها شيخنا غمر الصحراء صمت هاهنا[10]

يطرح السؤال في أذهان كل من يقرأ رسالة الخلود ووصل إلى هذا المقام، وهو لماذا ذكر الشاعر سورة النجم خاصة في هذا المقام أثناء معراجه الفكري وارتحاله العمودي السماوي الخيالي؟ لو تأملنا في هذا السؤال نظرا إلى الشواهد الأخرى للمعراج النبوي في رسالة الخلود، لأجابت أذهاننا عنه أن الشاعر كان له نظر عميق في قصة المعراج النبوي أثناء صياغة ملحمته هذه على صورة رحلة تمثيلية عمودية، لأن سورة النجم هي السورة التي بدأت بذكر المعراج النبوي وأحداثه، ويمكننا القول أنها أيضا من لوازم المعراج النبوي، وفرط الشاعر بذكرها ما هو إلفات أنظار القراء إلى أسرار المعراج النبوي وحقائقه.

وهذا هو السبب الوحيد. لأن الشاعر ذكر سورة النجم. خاصة في هذا المقام ولم يذكر أي. سورة من السور القرآنية أو آية من آي القرآن الكريم، لأن سورة النجم هي السورة التي نزلت آياتها الثنتي عشرة الأولى في بيان المعراج واسراره وحقائقه وكل ماورث رسول الله اثناء معراجه وماجرى به وكل مارأه هناك من آيات ربه الكبرىٰ۔ وكل بين من كه ادنى بغلام ورسالة الخلود يمكنه ان يفهم أن الشاعر قد ذكر سورة النجم خاصة كي يلفت أنظار الناس الى وقعة معراج رسول الله واسراره۔ وهذا هو الرأي الذي ذهب اليه الدكتور يزداني ايضاً عمل ذكر الشاعر سوره النجم خاصة، كما انه، يقول تحت شرح هذا البيت۔

قد جاء ذكر المعراج النبوي وحقائقه وأسراره في سورة النجم كتابة وإشارة فلهذا السبب

يذكرها العلامة (محمد اقبال) خاصة[11]

الرابع

لم يشير الشاعر إلى قصة المعراج النبوي مرة أخرى في رسالة الخلود، تحت شهيد ماجرى في فلك الزهرة من الأحداث لما يصل إليه مع مرشده الرومي، يتحدث الشاعر هناك من الروح وأحوالها وأوصافها وسيرها من خلقها إلى حلولها بجسد الإنسان ثم إلى يوم القيامة ثم إلى الحياة الأبدية بعد قيام الساعة، وإن جاهد الإنسان لروحه خلاف نفسه لوصلت الروح إلى مقام أعلى من الملائكة والخلق كله، حتى وصل البشر بمجاهدة روحه إلى مقام عبده في مقام قاب قوسين أو أدنى، حيث مازاغ بصره وماطغى.

فيشير الشاعر إلى الإسراء والمعراج النبوي كمايلي:

می کند پرواز ہی پہنائے نور نخلیش گیرندہ جبریل وحور

تا زمازاغ البصر گیرد نصیب بر مقام عبدہ گردد رقیب[12]

أي تطير الروح في توسعات النور حتى صار مخلبها مصيد الجبريل والحور. وثالث الرورح الحظ من مازاغ البصر وصارت رقيبة لمقام عبده۔

وترجم الدكتور المصري هذين البيتين باللغة العربية منظوما كالتالي:

وهي في نور على نور تطير ولديها الصيد جبريل وحور

تم مازاغ البصر يضحي النصيبا لمقام عبده تمسي الرقيبا[13]

وجه الشاعر هنا فكرتنا إلى تزكية الروح ومجاهدة النفس والعلاقة برسول الله كي لا تنقطع الروح من مقامها العلوي الحقيقي، فقال إن الروح إذا اكتملت تصفيتها وتزكيتها وتم تجديد علاقتها برسول الله صارت تطير في توسعات فضاء النور، حتى وصلت إلى مقام أعلى من الملائكة والحور، ثم حصل البشر على الحظ من مازاغ البصر أي نال

---

[10] الغوري، عبد الماجدة (1428هـ / (2007) ديوان محمد إقبال (عربي منظوم)، بيروت: دار ابن كثير، ج: 2، ص: 194

[11] يزداني، خواجه حميد، الدكتور (2015) شرح جاويد نامه لاهور: منشورات سنك ميل، ص: 96

[12] إقبال، محمد، الدكتور، (1994م) كليات إقبال الفارسية، لاهور : إقبال أكادمي پاكستان، ص: 56052. 52 الغوري، عبد الماجد، (1428هـ / 2007م) ديوان محمد إقبال (عربي منظوم)، بيروت: دار ابن كثير، ج: 2، ص: 220

[13] الغوري، عبد الماجدة (1428هـ / (2007) ديوان محمد إقبال (عربي منظوم)، بيروت: دار ابن كثير، ج: 2، ص: 194

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

المقام في الحضرة الاهمية ولا بزيغ بصره من الآيات والحقائق التي أراده الله تعالى أن تعاايه. الأصل إلى مقام عبده الذي هو مقام قاب قوسين أو أدنى منه والذي هو المستوى الأعلى الذي وصل إليه الوحيد من البشر وهو أشرف الأنام سيد البشر النبي الأمي المصطفى محمد رسول الله ليلة معراجه.

قد أشار الشاعر في البيت الثاني من البيتين المذكورين إلى الآيتين من القرآن الكريم، وكل واحدة منهما دارت حول قصة الإسراء والمعراج النبوي من حطيم الكعبة إلى سدرة المنتهى وأبعد منها، فالآية الأولى الذي أشار إليها الشاعرة، هي الآية السابعة عشرة من الآيات الثمانية عشرة المنزلة في قصة المعراج النبوي من سورة النجم. والتي قال الله تعالى فيها:

مازاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى[14]

أما الآية الثانية فهي الآية الأولى له سورة الإسراء التي تبين إسراء رسول الله ﷺ ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله البريه من آياته الكبرى. فقال الله تعالى:

سبحانَ الَّذِي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرة[15]

فقد أحاط الشاعر بإشارته إلى هاتين السورتين قصة الإسراء والمعراج النبوي كاملا من البداية إلى النهاية في بيت واحد.

الخامس

يشير الشاعر مرة أخرى إلى قصة المعراج النبوي وحضوره في الحضرة الإلهية في مقدسة الحضور في الحضرة الإلهية. يقارن الشاعر هناك بين العلم النافع والعلم الضار ويقول إن العلم الضار هو كحجاب أمام العيون والذي لا يمكن صاحبه بسببه رؤية الحقائق. أما العلم النافع فهو نفسه الطريق والدليل والمرشد وهو يعطي صاحبه العشق والشوق وهو تفسير الكائنات أي يوضحها كلها.

والعلم النافع بدل ويرشد صاحبه إلى طريق الجذب والعشق والشوق ثم يترسه وحيدا مثل جبريل -عليه السلام- كما أنه ترك رسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى وانفصل عنه، لأنه لا يمكنه عبورها كما أنها منتهى المكان ويبدأ بها اللامكان ولا يجتاز عنها الخلق إلا ماشاء الله. وهذا من خصائص رسول الله ﷺ أنه عبرها وذهب أبعد منها.

فيقول الشاعر تلميحا إلى قصة المعراج النبوي:

علم تفسير جهان رنگ و بو — دیده و دل پرورش گیرد ازو
بر مقام جذب و شوق آرد ترا — باز چون جبریل بگذارد ترا[16]

أي: العلم (النافع) هو تفسير الكائنات كله، وهو الذي ربى القلب والعين.

يرفعك العلم النافع إلى مقام الجذب والشوق، ثم يتركك هنا مثل جبريل.

ترجمهما الدكتور المصري باللغة العربية منظوما كما يلي:

إنه ما فسر الدنيا لنا — عيننا رتي ورتي قلبنا
وإلى جذب وشوقي يرفعك — مثل جبريل أراه يبدعك[17]

---

[14] القرآن، النجم 53، 17
[15] القرآن الإسراء 17 : 1
[16] اقبال، محمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، ص: 658
[17] الغوري، عبد الماجد (1428هـ / (2007) ديوان محمد اقبال (عربي منظوم)، بيروت: دار ابن كثير، ج: 2، ص: 315

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

يوضح الشاعر لناهناك نقطة مثيرة للاهتمام وهي أن العلم الضار لايمكنه رفع درجات صاحبه. أما العلم النافع فيمكنه أن يرفع درجات صاحبه ويبلغه إلى أرفع حد ممكن أي يرفعه إلى انتهاء المكان ثم يتركه وحيدا ولا يذهب في اللامكان إلى الحضرة الإلهية. يعني أن العلم النافع يدل صاحبه إلى الطريق الذي يمكن سالكة الوصول إلى الحضرة الإلهية بسلوكه، فيشبه الشاعر ترك العلم النافع لصاحبه في الطريق بترك جبريل-عليه السلام-رفيقه النبي عند سدرة المنتهى فيشير الشاعر تلميحا إلى قصة المعراج النبوي كما أن ترك جبريل النبي ﷺ عند سدرة المنتهى هو لازمة من لوازم قصة الصعود النبوي ومعراجه.

قال شارح رسالة الخلود الدكتور يزداني في شرح البيت الثاني من البيتين المذكورين:

كأنه (العلم النافع) يرفع صاحبه إلى اللامكان، ولكنه لا يأخذه في حضرة ذات الحق عبر رسول الله ﷺ سدرة المنتهى في معراجه ووصل إلى الحضرة الإلهية ولكن الجبريل عليه السلام-لايمكنه عبورها[18]

يوجد ذكر المفارقة بين رسول الله وجبريل-عليه السلام-قبل حضوره في الحضرة الإلهية في الأحاديث النبوية فاقتبس الشاعر الفكرة في بيته هذا من تلك الأحاديث النبوية، كما أخرج أبو الفضل القاضي محمد عياض (م 544ه-) في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى في فصل وأما ورد في هذه القصة من مناجاته الله تعالى وكلامه معه الأحاديث التي تدل على أن جبريل-عليه السلام-فارق رسول الله ﷺ قبل دنوه وقربه الله عزوجل، فدنا النبي ﷺ وحده من الله تعالى، فقال القاضي عياض:

عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه في قوله دَنَا فَتَدَلَّى قَالَ فَارَقَنِي جبريل فانقطعت الأصوات على مسمعت كلام ربّي وَهُوَ يَقُولُ: ليهذا رَفَعَكَ يا محمد ادن ادن[19]

فلسفة المعراج النبوي في رسالة الخلود

لو أدام النظر في فكر إقبال عن المعراج من خلال أعماله المكتوبة لوجدنا أنه كان يعد المعراج النبوي من القضايا التي تقتضي الاهتمام والعناية والرعاية، فلذا اقترح إقبال مسئلة المعراج النبوي في المسائل، التي يجب على المحققين والحكماء المسلمين أن يتوجهوا إليها، عند إلقاء خطبته الرئاسية للقسم العربي والفارسي في المؤتمر الشرقي لكل الهند عام 1928م[20] وعلاوة على ذلك، في كثير من الأحيان وجه إقبال العلماء والحكماء من خلال شاعريته وخطبه إلى مسئلة المعراج النبوي. ثم كتب كتابه الشهير جاويد نامه (رسالة الخلود)، وصاغ أحداث وحلته إلى العالم السماوي العلوي شعرا من أجل شرح أسرار المعراج النبوي وحقائقه.

إن المعراج عند إقبال هو موضوع مهم جدا، كما أن إقبالاً بين فلسفة المعراج في ملحمته الشهيرة رسالة الخلود على لسان مرشده الرومي. تحت عنوان تمهيد أرضي تمهيد زميني). فعندما تأملنا في مقام الذي شرح اقبال فيه المعراج، لوجدنا أن المعراج عند إقبال قسمين، وهما: المعراج الخاص، والمعراج العام. كما كان الأمر عند الصوفية والأولياء المتقدمين الذين ألف رحلاتهم الروحية والفكرية إلى العالم العلوي وأطلقوا عليها اسم المعراج بغير أي تردد. أما المعراج عند إقبال فإنه فرق وميز بين المعراج الخاص وهو المعراج النبوي والمعراج العام كرحلات. الصوفية والأولياء بطريق الإلهام والمنام إلى العالم السماوي العلوي. سنقدم فكرة إقبال عن المعراج في السطور التالية بكل تفصيل وتشريح كي يظهر أثر المعراج النبوي في فكرة إقبال عند كتابة رسالة الخلود.

تبدأ فلسفة المعراج في رسالة الخلود تحت عنوان تمهيد أرضي بظهور روح الرومي أمام الشاعر، فيسألها الشاعر عن الموجود وغير الموجود والمحمود وغير المحمود ويتساءل عن جوهر الحياة وكنهها، فيجيب به الرومي أن الموجود من يتمنى الظهور ويبغيه لأن هذا الظهور هو مقتضى الوجود. والحياة هي أن تزين نفسك لنفسك وأن تطلب الشهادة

[18] يزدانى، خواجہ حميد الدكتور (2015) شرح جاويد نامه، لاهور: منشورات سنك ميل، ص: 309
[19] عياض، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، أبو الفضل، (1409 هـ / 1988م) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (المتوق: 873هـ)، بروند: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ج 1، ص 202 - 204
[20] عبد الله السيد، الدكتور ، (1984ء) مطاح اقبال کے چند کے نا بعض الجوانب الجديدة لدراسة المال)، لاهور :بزم إقبال، ص: 56

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

على وجودك، لأن الشهادة هي تمييز النفس عن الآخرين، كما أن الله تعالى طلب الشهادة على وجوده يوم ألست بربكم؟ وميز ذاته عن الآلهة الباطلة وأعلن ألوهيته وربوبيته في خلقه، فالحياة عبارة عن إنشاء الصفات الإلهية في نفسك، ومن لا يتخذ الصفات الإلهية في نفسه ليست له الحياة.

ثم يقول له الرومي لو أردت أن تعلم عن نفسك أنك حي أم ميت أم قريب الموت فاطلب الشهادة على هذه الأحوال الثلاثة من ثلاثة شهداء الشاهد الأول هو شعور نفسك فشاهد نفسك بنور نفسك. وهذا يعني أن ينظر الإنسان في نفسه ويتدبر في الآيات المخفية في نفسه. وينبغي لإنسان إدراك كونه ذا شعور ووعي، لأن الشعور هو يوجد في الحيوانات كلها مثل الفرس والحمار وغيرهما من الحيوانات وبناء على ذلك الشعور تعمل الحيوانات على أحكام الإنسان. أما الفرق بين شعور الحيوانات وشعور الإنسان فهو إدراك كونه ذا شعور، والشعور أيضا من آيات الله تعالى ولا تملك الحيوانات هذا الشعور، أما الإنسان فلما يتدبر في نفسه يجد أنه لديه شعور ووعي فهكذا يصل إلى آية من آيات الله في نفسه والتي تدل على الوجود المطلق. وهذه هي النقطة التي وجه إليها القرآن الكريم.

فقال الله تعالى في سورة الذاريات:

وفي أَنفُسِكُمْ: أَفَلَا تُبْصِرُونَ [21]

ويقول الرومي للشاعر إن الشاهد الثاني الذي ينبغي لك طلب الشهادة منه هو شعور الآخرين فشاهد نفسك بنور الآخرين، وهذا يعني أن يتميز الإنسان من الآخرين ويعرف فردية نفسه. كما ذكرنا مسبقا أن الشهادة هي تميز النفس من الآخرين فطلب الإنسان للشهادة على ذاته من الآخرين يعني أنه يتميز نفسه ويتفرد ذاته.

والشاهد الثالث هو شعور ذات الحق وأن يشاهد الإنسان نفسه وماهيته وأصليته بنور ذات الحق. أي بتدبر الإنسان في أصله وحقيقته أنه هو عبد وخلق، فلا بد من أن يكون هناك معبود وخالق، وهو ذات الحق وإن لم يكن الخالق لن يكون الخلق، وهذا الشعور الثالث هو مقام أعلى للحياة.

ثم يقول الرومي للشاعر إن تثبت فردية نفسك وشخصيتك أمام نور ذات الحق ستحصل على الخلود والسرمدية، يطرح هنا السؤال في الأذهان أن كيف للإنسان أن يكون خالدا سرمديا؟ فأجاب عنه الشاعر في البيت التالي، وقال إن الحياة الحقيقية هي أن يصل الإنسان إلى مقامه الخاص وهو أن يرى ذات الحق بدون حجاب وهذه الرؤية هي المشاهدة في مصطلح الصوفية. هذه ليست بعين الرأس بل هي بعين القلب، وبعبارة أخرى لما رأى الإنسان ذات الحق بدون حجاب بعين القلب، هذا يعني أنه قد وصل إلى مقامه ومقصود حياته، فصارت حياته خالدة سرمدية لأنه قد حصل على مقصود حياته وهو مشاهدة ذات الحق بلا حجاب [22]

ومشاهدة ذات الحق ليست بمورد النزع والخلاف تماما، لأن إثباتها موجود في حديث رسول الله ﷺ الشهير وهو حديث جبريل -عليه السلام، عندما جاء جبريل وسأل عن الإيمان والإسلام، فأجاب رسول الله ﷺ عن أسئلته وبين أركان الإيمان والإسلام. ثم سأل الجبريل عن الإحسان فقال رسول الله ﷺ:

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ [23]

بيد أذكر المعراج الخاص: وهو المعراج النبوي مباشرة من هنا، أما كل ما سبق فذكرناه كسياق الكلام كي تفهم فلسفة المعراج النبوي عند إقبال. حيث إنه لا يمكننا الفهم بدون السياق.

بعد أن يعرف الحياة على لسان الرومي ينطلق الشاعر أماما ويشرح فلسفة المعراج النبوي مباشرة على لسان مرشده الرومي. فيقول إن العبد المؤمن لا يرضى على الصفات فحسب بل إنه يتمنى الذات. وهذا هو السبب أن رسول الله لم يرض إلا بالذات وذهب إلى الحضرة الإلهية ليلة معراجه والعبد المؤمن يتتبع رسول الله ﷺ في كل أعماله وأفعاله فلا يمكنه أن يرضى بالصفات فقط مع أنه من يتبعه العبد المؤمن لم يرض إلا بالذات.

يقول الشاعر هنا:

---

[21] القرآن، الذاريات21:51

[22] جشتي يوسف سليم الأستاذ (1956م) شرح جاويد نامه (شرح رسالة الخلود)، لاهور: بيت العشرة للطباعة، من 291

[23] البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (1422هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق التحالف، ج 1، ص: 19، رقم: 50

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

مرد مومن در نساز د با صفات مصطفی راضي نشد إلا بذات،[24]

أي: لايقنع المؤمن بالصفات فقط والنبي المصطفى الله لم يرض إلا بذات الحق.

يطرح السؤال في الأذهان وهو ما معنى أن العبد المؤمن لايقنع بالصفات فقط؟ فيجيب عنه الشاعر على لسان الرومي في الشطر الثاني من هذا البيت، وهو أن رسول الله ﷺ لم يرض إلا بالذات أي أنه لم يرض بخلق الصفات الإلهية في نفسه بل انطلق أماما وذهب إلى الحضرة الإلهية ليلة معراجه، وهذا المعراج بالجسد والروح في اليقظة يمكن فقط الرسول الله لأنه هو وحيد من بين البشر الذي قد تمكن على درجة إنسان أكمل.

يشير الشاعر في الشطر الثاني من هذا البيت إلى المعراج الخاص وهو المعراج النبوي. كما أنه هو أفضل البشر وأكمل الأنام، فهو قد عبر تلك المراحل الثلاثة من ارتقاء الحياة التي ذكرناها مسبقا والتي يقولها الشاعر طلب ثلاثة شهادات من ثلاثة شاهدين، وهي: الشهادة من شعور النفس، والشهادة شعور الآخرين، والشهادة من شعور ذات الحق، وكان رسول الله ﷺ ترتفع درجاته في كل حين ولحظة، وتدل عليها آية من سورة الضحى التي بين فيها الله تعالى أن كل لحظة رسول الله ﷺ الله خير من لحظته الأولى. فقال الله عزوجل:

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى.[25]

فوصل رسول الله ﷺ من خلال ارتقاء درجاته وارتفاعها إلى مقام أكمل الناس، فعرج به إلى العالم العلوي السماوي وإلى الحضرة الإلهية بجسده وروحه في اليقظة وانتهى معراجه في مقام قاب قوسين أو أدنى، ومازاغ بصره حتى في ذلك المقام وماطغى. وأوحى الله إلى عبده المحبوب ما أوحى، وأراه من آياته الكبرى، ثم رجع رسول الله إلى الأرض وهذا هو شأنه الخاص أنه أثبت فرديته حتى في عند نور ذات الحق ورجع من ذلك المقام إلى الناس كي يبلغهم ماشاء الله. وهذا هو الشأن الخاص به أنه قد تمكن بجسده وروحه في اليقظة في مقام الذي لايمكن لأحد الوصول إليه، وأنه الله لم يسبق هناك ورجع إلى الأرض. وهذا هو منزلة معراجه ورفعة درجاته أنه رجع من مقام أرفع وأعلى ذكره إقبال عن الشيخ عبد القدوس كنكوهي، فقال في كتابه تجديد أفكار الإسلام:

ذهب محمد عربي به ماوراء الأفلاك ورجع، والله إن كنت ذهبت لم أرجع أبدا[26]

ورؤية العبد المؤمن الله تعالى فلا ترادبه الرؤية بعين الرأس بل بعين القلب لأن الإنسان لايمكنه رؤية الله عزوجل بعين الرأس مباشرة حتى لايمكن رؤية الله عزوجل مباشرة بعيني الرأس لموسى -عليه السلام- بالرغم منأنه نبي الله ورسوله.

أما المعراج العام: فهو للعبد المؤمن الذي يصطبغ بصبغة الله تعالى. أي أنه يخلق في نفسه الصفات من الصفات الإلهية ويصبغ صفاته بالصفات الإلهية. كما ذكر الله تعالى في سورة البقرة أن المؤمنين يقولون إنهم قد اصطبغوا بصبغته ويعبدونه، فقال:

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ[27]

فهذا اعترافهم لكونهم عابدين الله تعالى يشير إلى طاعتهم لأحكامه، والطريق الوحيد لتحقيق إطاعة الله تعالى هو اتباع حبيبه، والاتباع لايمكن إلا بالحب والعشق، فالمراد به أن الذي يريد أن يصطبغ بصبغة الله تعالى ويصبغ صفاته بالصفات الإلهية يجب عليه أن تحب حبيب الله ويتبعه، فلما يحب رسول الله ﷺ ويتبعه ويطيع الله عزوجل من خلال إطاعة حبيبها فهو يصل إلى مقام أن يصبغ صفاته بالصفات الإلهية، يتحدث الشاعر هنا من هذا المقام المذكور، أن العبد المؤمن لما يصل إلى مقام مصطبغ الصفات بالصفات الإلهية، لايقنع بهذا المقام فقط بل تتبع من أمر الله باتباعه ويطلب من الله عزوجل الذات بعد الصفات لأن رسول الله ﷺ لم يرض بالصفات فيتبعه العبد المؤمن ولايقنع بالصفات فحسب.

---

[24] اقبال، محمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، ص: 492

[25] القرآن، الضحى،4:93

[26] اقبال، محمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، ص: 153

[27] القرآن، البقره،138:2

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

وهذا المفهوم يمكننا أن نجده في حديث جبريل –عليه السلام– الذي سبق ذكره آنفا، وهو أن الإحسان هو أن يعبد العبد الله عز وجل كأنه يراه، وهذا هو درجة الإحسان الأعلى، فإن لم يتمكن على هذه الدرجة يجب له الاعتقاد أن الله يراه دائما. وهذا الاعتقاد هو درجة التي يتخيل العبد فيها أن الله يراه وينظر إليه، وهذا صفة من صفات الله تعالى أنه يرى الكل في أي وقت في أي مكان، فلما يصطبغ العبد بهذه الصفة الإلهية، يمكنه أن يعبد كأنه يرى الله بعين قلبه، ومن ثم لا يقنع بالصفات فحسب، بل يطلب الذات ويتمكن في درجة التي قالها رسول الله الدرجة الأعلى من الإحسان، وهو:

أن تعبد الله كأنك تراه...[28]

فقال رسول الله ﷺ أن إحسان العبد هو أن يعبد الله كأنه يرى الله تعالى وهذه صورة أعلى للإحسان. فإن تمكن العبد في هذه الدرجة أي وصل إلى المقام الذي يمكنه فيه رؤية الله عز وجل بعين قلبه، فهذا يعني أنه قد حصل على المعراج. وهذا هو السبب في حديث رسول الله ﷺ عن الصلاة أنها معراج المؤمن. فقال:

الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ.[29]

فمن ثم يشرح الشاعر معنى المعراج على لسان الرومي. فيقول ما المعراج؟ المعراج هو مرجاة للشاهد واختبار الإنسان لنفسه أمام الشاهد والشاهد المرجو هو الشاهد العادل الذي بدون تصديقه تكون الحياة مثل الزهر دون العطر، وكل إنسان لا يمكنه الثبات عند الشاهد العادل وهو ذات الحق أي أنه لا يمكنه أن يطلب الشهادة من الله عز وجل، أما من يثبت عنده ويطلب الشهادة منه فهو كامل. فالمعراج عند إقبال هو مرجاة للشاهد العادل واختبار النفس أمامه وثبات الإنسان عنده. فيقول الشاعر هنا:

چيست معراج؟ آرزوئے شاہدے امتحانے روبروئے شاہدے[30]

أي: ما المعراج؟ هو رجاء للشاهد، وهو الاختبار الذاتي أمام الشاهد.

يظهر من هذا البيت أن المعراج عند إقبال هو أن يرجو العبد الشاهد ويختبر ذاته أمام الشاهد، فماذا يعني أن المعراج هو مرجاة للشاهد والاختبار الذاتي أمامه؟ فهذا يعني أن العبد يمر بمشقة كبيرة ورياضة كثيرة من أثناء صبغ صفاته بصبغة الصفات الإلهية، ويطيع الله عز وجل من خلال اتباع رسوله الله خلاف طاعة نفسه الأمارة السوء، لأن الطاعة هي طريق وحيد للاصطباغ بصبغة الصفات الإلهية –كما ذكرناه مسبقا– أن الذين يصطبغون بصبغة الله تعالى يقولون إنهم له عابدون أي إنهم مطيعون لأحكامه. بين محمد إقبال نفس الشيء في بيته الآخر المتضمن في ديوانه الأسرار والرموز، فيقول:

در اطاعت كوش اى غفلت شعار مى شود از جبر پيدا اختيار[31]

أي يا غافل جاهد في الطاعة (الإلهية)، والاختيار يتخلق ويبدو من خلال الجبر.

يعني أن الذي جاهد في طاعة الله تعالى خلاف طاعة نفسه، فهو يجبر على نفسه لأن النفس يأمره بالسوء فلا يعمل بأمره ويطيع أوامر الله عز وجل. ومن خلال ذاك الجبر الذي يورده على نفسه يتخلق اختيار الخير دون الشر والاختيار هو صفة من الصفات الإلهية، وهكذا يمكن الإنسان أن يصبغ صفاته بصبغة الصفات الإلهية من خلال طاعته خلاف نفسه. فلما أنه قد مر من خلال هذه المرحلة الصعبة خلاف نفسه وهواها، وأثبت فرديته وشخصيته بطاعة الله تعالى يرجو أن يكون أمام الشاهد العادل ويطلب الشهادة على ثباته واستقراره، والذي يختبر أمامه ثبات فرديته وشخصيته. لأن كل من جاهد في أي ميدان يرجو أن يختبر عن الذي جاهد فيه، كطالب العلم يجاهد سنة كاملة ثم يرجو أن يختبر في الامتحان النهائي كي يمكنه النظر في نتيجة جهده في ميدان العلم. هكذا من يجاهد في الاصطباغ بصبغة الله يرجو ذات الحق واختبار نفسه أمامه بعد صبغ صفاته

---

[28] البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (1422هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق التحالف، ج 1، ص: 19، رقم: 50

[29] الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، أبو عبد الله (1420م) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج 1، ص 226

[30] إقبال، محمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال اكادمى پاكستان، من: 492

[31] إقبال، محمد الدكتور (1994م) كليات إقبال الفارسية (الأسرار والرموز)، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، من: 57

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

بالصفات الإلهية. وعلى هذا المقام، ينطلق آماد ويرجو الشاهد العادل أي ذات الحق بعد الصفات. فلما يصل إلى مقام أن يرجو فيه الشاهد العادل وأن يختبر ثبات نفسه واستقرار فرديته وشخصيته آماده فهذا يعني أنه قد حصل على المعراج[32]

بعد توضيح فلسفة المعراج عند الشاعر، نود أن نقدم تلك الأبيات الثلاثة معا، التي تعني فلسفة المعراج مباشرة، كي يمكننا فهم كل ما سبق بطريق أسهل. فقال الشاعر على لسان مرشده الرومي:

بر مقام خود رسیدن زندگی است　　ذات را بی پرده دیدن زندگی است
مرد مومن در نسازد با صفات　　مصطفی راضی نشد إلا بذات
چیست معراج؟ آرزوئے شاہدے　　امتحانے روبروئے شاہدے[33]

أي: الحياة هي وصول الإنسان إلى مقامه، وهو النظر إلى الذات بلا حجاب.

لا يقنع المؤمن بالصفات فقط، والنبي المصطفى ﷺ لم يرض إلا بذات الحق.

ما المعراج؟ هو رجاء للشاهد، وهو الاختبار الذاتي أمام الشاهد.

يقول الشاعر إن أرفع درجة الحياة هو أن يصل العبد إلى مقام الذي يرى ذات الحق فيه بدون حجاب. لأن العبد المؤمن لا يقنع بصبغ صفاته بالصفات الإلهية فحسب، كما أن رسول الله ﷺ لم يرض إلا بالذات ووصل إلى الحضرة الإلهية ليلة معراجه. فما هو المعراج؟ المعراج هو أن يرجو العبد الشاهد العادل أي ذات الحق وأن يختبر امامه

يتبادر في الأذهان أن إقبال لم يميز بين المعراج النبوي الخاص والمعراج العام، وأطلق اسم المعراج على مقام كل من يرى ذات الحق بعين قلبه. فهذا خطأ أن إقبالا لم يفرق بين المعراج النبوي الخاص والمعراج العام، بل انه فرق بينهما وميز المعراج النبوي الخاص من المعراج العام. ولكن الفرق لطيف جدا بسبب الأسلوب الذي اختاره الشاعر في ديوانه هذا.

والفرق بينهما هو أن الشاعر لما ذكر أن العبد المؤمن لا يقنع بالصفات فحسب، لم يقل بعده إنه يطلب الذات. بل قال إن رسول الله ﷺ لم يرض إلا بالذات. تأملوا في هذا المقام، لو قال الشاعر إن العبد المؤمن لا يقنع بالصفات ويطلب الذات، سيكون معناه أن الشاعر لم يفرق بين المعراج الخاص والعام، ولكنه قال إنه لا يقنع بالصفات، وإن رسول الله ﷺ لم يرض إلا بالذات. يعني أن المعراج بالجسد والروح في اليقظة والوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى ورؤية ذات الحق مباشرة هو شأن خاص ومنزلة خاصة برسول الله ﷺ. أما العبد المؤمن فيتبعه في الأمر، ويود أن يحصل على المعراج ويمكنه أن يحصل عليه ولكنه سيكون مختلفا تماما أي أنه سيكون بطريق المنام أو الإلهام خلاف رسول الله ﷺ، ورؤيته لذات الحق ستكون بعين القلب خلاف رسول الله ﷺ. أي أن المعراج النبوي الخاص هو معراج حقيقي، والمعراج العام للعبد المؤمن هو معراج روحي.

يمكننا إحاطة كل ما سبق عن فلسفة المعراج النبوي عند إقبال بأن العروج السماوي إلى الحضرة الإلهية والذهاب إلى الملأ الأعلى من السنن النبوية كالسنن الأخرى، إلا أن مستوى معراج رسول الله ﷺ لا يمكن أحد الوصول إليه، وليس هذا فقط في العروج السماوي، بل كان الأمر في كل سنة من السنن النبوية، أن المطيع أي الأمني لا يمكنه الوصول إلى مستوى المطاع أي النبي الله في العمل. فالمعراج النبوي هو معراج خاص بالجسد والروح في اليقظة. أما المعراج لغير النبي فهو معراج عام، بطريق الإلهام أو المنام، ولا يمكنه الوصول إلى الجمال الإلهي مباشرة في اليقظة بالجسد والروح، كما كان الأمر في المعراج النبوي. فلن يستوي عمل الأمني والنبي، كما أنه ثابت من الأحاديث رسول الله ﷺ وأقواله. فعندما نهى رسول الله ﷺ عن صوم الوصال، قال:

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ وَقَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ، فَقَالَ لَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: فَإِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ تُوَاصِلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّكُمْ مِثْلِي؟

[32] جشتي، يوسف سليم، الأستاذ (1956م) شرح جاويد نامه (شرح رسالة الخلود)، لاهور : بيت العشرة الطباعة، من: 294
[33] إقبال، محمد، الدكتور (1994م) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، ص: 492

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ.[34]

فعند ما تأملنا في كل ما جاء به إقبال تحت باب تمهيد أرضي تمهيد زميني)، لوجدنا أنه يشجعنا على العمل بسنة المعراج والخروج من قيود الزمان والمكان، ويبدو أنه كان يعتقد أن المعراج هو الخروج من قيود الزمان والمكان. فلهذا السبب لما يتساءل الشاعر مرشده الرومي عن كيفية المعراج والخروج من قيود الزمان والمكان فأجابه به أن يتفكر في كلمة إلا بسلطان في آية من سورة الرحمن، التي قال الله تعالى فيه:

يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض

فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان.[35]

فإن الإنسان يمكنه المعراج بطريقة تسخير الأفلاك والكائنات كلها، ولا يمكنه التسخير إلا بسلطان. ويقول الشاعر على لسان الرومي أن الإنسان يمكنه الخروج من قيود الزمان والمكان ب-السلطان، ويقول أن السلطان هو أن يتولد الإنسان مرة أخرى، كما أنه كان خرج من قيود بطن الأم بالولادة، فيمكنه أن يخرج من قيود الزمان والمكان ب-الولادة. والخروج من قيود الزمان والمكان هو تسخير الكائنات والذي أمر به الله عزوجل في عدة مقامات في القرآن الكريم فهو حكم من أحكام الله عزوجل للإنسان.

أوجه التشابه بين المعراج النبوي ورسالة الخلود:

كما ذكرنا في البدء أن رحلة المعراج النبوي كانت أول رحلة إلى العالم العلوي السماوي في الأدب الإسلامي، والتي تأثر بها كثير من الأدباء والشعراء والعلماء في صياغة أحداث الرحلات السماوية الفكرية، ومنهم الشاعر والفيلسوف الإسلامي الكبير العلامة محمد إقبال -رحمه الله، الذي تلقى الأثر من المعراج النبوي إلى حد بعيد في نظم ملحمته رسالة الخلود جاويد نامه). ذكرنا وأثبتنا في السابق أنه نظم منظومته هذه متأثرا بالمعراج النبوي.

سنذكر فيما يلي أوجه التشابه بين المعراج النبوي ومنظومة رسالة الخلود":

سؤال من معك؟

جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة أنه لما عرج برسول الله ﷺ ليلة معراجه، فكلما وصل جبريل -عليه السلام- معه إلى السماء من السماوات السبعة واستفتح سئل عنه من هذا؟ ومن معك؟ وردت هذه الواقعة في الأحاديث الكثيرة الواردة في بيان قصة الإسراء والمعراج النبوي. كما أخرجه البخاري في صحيحه:

فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد قيل

وقد أرسل إليه؟ قال نعم. قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح... (حديث طويل)[36]

تبنى الشاعر محمد إقبال هذا الأسلوب في ملحمته رسالة الخلود. فلما عرج مرشده به إلى الفلك الأول من سفره وهو فلك القمر، يلتقي هنا ب-العارف الهندي. بعد أن يصف الشاعر شخصية العارف الهندي يسأل العارف الرومي: من معك؟، كما كان الأمر في قصة المعراج النبوي على كل سماء حيث سألت الملائكة جبريل -عليه السلام- عن رسول الله، والذي ذكرنا مسبقا عنه الحديث النبوي، فيمكننا القول إن الشاعر قد تبنى أسلوب سؤال من معك؟ من قصة المعراج النبوي بترجمته باللغة الفارسية، فقال الشاعر على لسان العارف الهندي۔

گفت بارولی کہ ہمراہ تو کیست؟ در نگاہش آرزوئے زندگیست[37]

---

[34] البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبد الله (1422هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصرة دار طوق النجاة، ج 8، ص: 174، رقم: 6851

[35] القرآن، الرحمن 33:55

[36] البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبد الله (1407هـ / 1987م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغاء بيروت: دار ابن كثير، ج 3، ص: 1410، رقم: 3674

[37] اقبال، محمد، الدكتور، (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، ص: 509

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

أي: قال العارف الهندي) للرومي: من معک ؟ الذي في عينيه أمل الحياة ومنيتها.

من الواضح أن إقبالا كان ذا اطلاع وسيع على المعراج النبوي. فلا مجال للشک في أنه تأثر بقصة المعراج النبوي إلى حد أنه تبنى أسلوب السؤال من هذه القصة إلا أنه قد ترجم السؤال إلى اللغة الفارسية لإنها كانت لغة ملحمته، كما أن الملائكة سألت عمن كان مع جبريل -عليه السلام- وهو رسول الله ﷺ. أما العارف الهندي فسأل عمن كان مع الرومي وهو العلامة محمد إقبال. وكان السؤال نفسه في كل واحد من هاتين الوقعتين، وهو: من معک ؟

الالتقاء بالشخصيات

زار رسول الله ﷺ خلال سفره من مكة المكرمة إلى العالم السماوي كثيرا من الأشخاص، كما كان الأنبياء عليهم السلام - جمع به في المسجد الأقصى فلقيهم وأم بهم وخطبهم. ثم عرج به إلى العالم السماوي والتقى على كل واحد من السماوات نبيا أو أكثر. فزار أبا البشر آدم عليه السلام على السماء الأولى، وعيسى ويحيى عليهما السلام على السماء الثانية، وهكذا إلى السماء السابعة حيث زار أباه خليل الله إبراهيم -عليه السلام- ماورد في الحديث الطويل، فقال:

فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا... فلما خلصت فإذا فيها آدم..... ثم صعد حتى إذا أتى السماء
الثانية... فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة.... ثم صعد بي إلى السماء الثالثة... فلما خلصت
إذا يوسف.... ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة... فلما خلصت إلى إدريس.... ثم صعد بي حتى إذا أتى السماء
الخامسة... فلما خلصت فإذا هارون.... ثم صعد بي حتى إذا أتى السماء السادسة... فلما خلصت فإذا موسى..
ثم صعد بي إلى السماء السابعة... فلما خلصت فإذا إبراهيم..[38]

ليس فقط أنه زار الأنبياء- عليهم السلام، بل زار الأشخاص غير الأنبياء أيضا أثناء معراجه، كما انه زار البلال المؤذن-. رضى الله تعالى وراضاه... فروى البيهقي عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- فقال:

قال: ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم، دخل الجنة تسمع في جانبها خشخشا، فقال: يا جبريل من
هذا؟، فقال: هذا بلالُ المُؤذن، فأتى التي الناس، فقال: قد أفلح بلال رَأَيْتُ لَهُ كَذا وَكَذا[39]

فتأثر إقبال في ملحمته المنظومة رسالة الخلود بقصة المعراج النبوي من هذه الناحية أيضا إلا أنه لم يزر الأنبياء- عليهم التحية والثناء... فزار الشاعر كثيرا من الأشخاص على كل واحد من الأفلاك التي مر بها الشاعر الثناء عروجه العلوي، كما أنه زار العارف الهندي على فلک القمر[40]، وجمال الدين الأفغاني وسعيد عليم باشا على فلک العطارد[41]. ولقي وكلم على فلک المشتري ثلاث شخصيات وهي: الشاعري الأردي الشهير ميرزا أسد الله خان غالب والصوفي والفلسفي الشهير حسين بن منصور الحلاج والشاعرة الشهيرة قرة العين الطاهرة[42]. وهكذا زار على كل فلک شخصا أو أكثر وكلمهم وخاطب المسلمين وعامة الناس على السنتهم.

أحوال المعذبين

تتراءى الرسول الله ﷺ ليلة معراجه أحوال المعذبين. وشاهد رسول الله ﷺ أحوال العصاة والمذنبين المعذبين. قد وردت في هذا المجال عدة روايات والتي تدل على أن رسول الله ﷺ شاهد أحوال المعذبين وأهوال عذابهم. كما رواه البيهقي عن أبي سعيد الخدري- رضي الله تعالى عنه وأرضاه-:

قال: ثُمَّ عُرِضْتُ عَلَى النَّارِ، فَإِذَا فِيهَا غَضَبُ اللَّهِ وَزَجْرُهُ، وَنِقْمَتُهُ، لَوْ طُرِحَ فِيهَا الْحِجَارَةُ،

---

[38] البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبد الله (1407هـ / 1987م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ج 3، ص: 1410، رقم: 3674

[39] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر، (1406هـ / 1986م) البعث والنشور المحقق الشيخ عامر أحمد حيدر، بيروت: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ج: 1، ص: 146، رقم الحديث: 188

[40] إقبال، محمد، الدكتورة (1994م) كليات إقبال الفارسية، لاهور: اقبال اكادمى پاكستان، ص: 508 - 514

[41] إقبال، محمد، الدكتورة (1994م) كليات إقبال الفارسية، لاهور: اقبال اكادمى پاكستان، ص: 950

[42] إقبال، محمد، الدكتورة (1994م) كليات إقبال الفارسية، لاهور: اقبال اكادمى پاكستان، ص: 678

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

وَالحَدِيدُ لاَ كَلَّمَتْهَا، ثُمَّ أُغْلِقَتْ دُونِي [43]

ليس فقط أنه رأى أهل النار وأحوالهم، بل يتراءى له المعذبين في أحوال مختلفة وأهوال متنوعة. كما انه رأى أكل الربا سابحًا في النهر وملقم الحجارة. فأخرج الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- في مسنده حديثًا عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه وأرضاه، فقال:

عن سمرة بن جُنْدُبٍ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ: رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي رَجُلًا يَسْبَحُ فِي نَهْرٍ وَيُلْقَمُ الحِجَارَةَ، فَسَأَلْتُ مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: آكِلُ الرِّبَا [44]

لو طالعنا على رسالة الخلود لوجدنا أن الشاعر لم يقدم صورة الجحيم مستقلة، بل جعلنا نرى أحوال المعذبين في الفلك الأخير من الأفلاك التي سار فيها الشاعر أثناء سفره إلى العالم العلوي في صحبة مرشده الرومي. وهذا هو فلك الزحل، الذي بدأ الشاعر بيان كل ما جرى به في هذا الفلك بعنوان الأرواح الحبيبة التي غدرت بالوطن ولم تقبلها جهنم. كما يظهر من خلال هذا العنوان، بين الشاعر في هذا الفلك أحوال المعذبين الذين كانوا يعذبون بسبب غدرهم بالوطن والملة الإسلامية، ومن هؤلاء المعذبين كانا هناك ميرجعفر من البنغال، وميرصادق من الدكن. كما قال الشاعر:

منزل ارواح في يوم النشور — دو دوزخ از احراقشان آمد نفور
اندرون او طاغوت كهن — روح قوی كشته از بهر دو تن
جعفر از بنگال وصادق از دكن — ننگ آدم، ننگ دين، ننگ وطن [45]

أي: كان هذه الفلك مقام الأرواح التي ليس لها يوم النشور (أي أنها قد قدر لها العذاب بسبب ذنوبها وغدرها، والجحيم لم تقبلها ولم تحرقها بسبب غدرها. وكان هناك الشيطانان القديمان في هذه الأرواح اللذان قتلا روح القوم والملة الإسلامية لنفعهما ومصلحتهما فقط. أحدهما: ميرجعفر من البنغال (الذي غدر بحاكم البنغال نواب سراج الدولة، وآخرهما: ميرصادق من الدكن الذي غدر بسلطان فتح علي تيبو الشهيد). كلاهما عار للإنسانية والدين والوطن.

ثم يمثل الشاعر في هذا الفلك البحر من دم فيه السفينة التي ركبا عليها رجلان أصفر الوجه، لأن الجحيم لم تقبلهما بسبب غدرهما بالوطن والملة الإسلامية، فيقول الشاعر إنه كان هناك البحر من دم فيه الطوفان، وتطير الحيات ذوات مخالب سوداء في فضاءه كالتماسيح في البحر كانت أمواجه مفترسا كالليث والتي ماتت تماسيح رعبا منها بساحل. ثم يقول الشاعر:

موج خون يا موج خون اندر ستيز — در ميانش زورقی در افت وخيز
اندر آن زورق دو مرد زرد روئے — زرد رو، عريان بدن، آشفته موے [46]

أي: كانت أمواج الدم تتحطم بعضها البعض أي تتلاطم، وكانت بين الأمواج السفينة تغرق مرة وترتفع مرة أخرى، والتي كان فيها الرجلان أصفر الوجه. كانا شاحبين، وعاريين، وأشعثين.

[43] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر، (1406هـ / 1986م) البعث والنشور المحقق الشيخ عامر أحمد حيدر، بيروت: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ج: 1، ص: 146، رقم الحديث: 831
[44] ابن حبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلا بن أسد الشيباني (1421هـ / 2001م) المسند المحقق: الشعيب الأرنؤوط وآخرون الروت: مؤسسة الرسالة، ج 33، ص: 293، رقم الحديث: 20101

[45] إقبال، عمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمى پاكستان، ص: 628 - 629
[46] إقبال، محمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال اكادمي باكستان، ص: 642

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

يتضح كامل الوضوح مما سبق أن الشاعر تأثر بقصة المعراج النبوي وأحداثها إلى حد كبير، وتلقى الأثر من المعراج النبوي في بيان أحوال المعذبين وأهوال عذابهم، إلا أن الشاعر لم يقدم صورة الجحيم مستقلة، وأرانا المعذبين في بحر من دم. وهذا أيضا أثر قصة المعراج النبوي في فكرته أنه مثل المعذبين في البحر من دم، كما رأى رسول الله ﷺ آكل الربا في النهر أثناء سفره ليلة معراجه.

زيارة إبليس والتحدث معه

ورد في الأحاديث الكثيرة المتعلقة بالإسراء والمعراج النبوي أنه بينما كان رسول الله ﷺ أسري به رأى شيئا بدعوه متنحيا عن الطريق وتميله إليه. فسأل رسول الله عنه جبريل -عليه السلام، فأجابه فيما بعد أنه من كان يدعونه ويريد أن يضلك ويميلك إليه فهو الشيطان إبليس.

كما روى البيهقي عن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- في دلائل النبوة:

وَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِذَا: هُوَ بِعَجُوزٍ عَلَى جانب الطريق فَقَالَ: مَا هَذِهِ يَا جبريل؟ قال سِرْ يَا مُحَمَّدُ فَسَارَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسِيرَ فَإِذَا شَيْءٌ يَدْعُوهُ مُتَنَحِّيًا عن الطريق يَقُولُ: هَلُمَّ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: سِرْ يَا مُحَمَّدُ، فَسَارَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يسير ..... ثُمَّ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَمَّا الْعَجُوزُ الَّتِي رَأَيْتَ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِ تِلْكَ الْعَجُوزِ، وَأَمَّا الَّذِي أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ فَذَلِكَ عَدُوُّ اللهِ إِبْلِيسُ أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ.[47]

إن تأملنا في رسالة الخلود من هذه الجهة لوجدنا أن مؤلفها إقبالا تأثر بأحداث الإسراء والمعراج النبوي في هذا المجال أيضًا، كما أنه يتراءى له الشيطان إبليس في فلك المشتري بعد أن يفرغ الشاعر من التحدث مع الغالب والحلاج وقرة العين الطاهرة. لقب الشاعر الشيطان ب-رأس أهل الفراق. فوضع الشاعر العنوان في فلك المشتري باسم ظهور رأس أهل الفراق إبليس. يظهر إبليس أمامه من شعلة من النار بشكل شيخ كبير يرتدي ثوبا الثياب، فأخبر الرومي الشاعر أن هذا الشيخ الكبير هو رأس أهل الفراق، ويصفه بأوصافه المتعددة كي يعرفه الشاعر معرفة كاملة.

ثم يدور الحوار بين الشاعر وإبليس عن وظيفته ومسلكه ويدعوه الشاعر أن يترك طريق الفراق ويستغفر الله ويتوب إليه، فيقول إبليس: إن الفراق هو لطف الحياة، ونعم سكر يوم الفراق أي اليوم الذي أبى فيه إبليس عند الله السجدة لآدم -عليه السلام، ثم يقول إنه لم يذكر بلسانه كلمة الوصل بالله تعالى، ولو أنه ذكر الوصل بالله تعالى لن تبقى هويته ولا هوية الله عز وجل، لأن الشيطان هو علامة الشر وهويته بالشر والله تعالى هو علامة الخير وهويته بالخير، وإن اجتمع الخير والشر معا فلن يبقى الفرق بينهما. فلا يمكن له ترك الفراق وتبني الوصال بالله تعالى.

فيمثل الشاعر هذا المشهد كالتالي:

گفتمش: بگذر از آئین فراق — أبغض الأشياء عندي الطلاق
گفت: ساز زندگی سوز فراق — اے خوشا سر مستی روز فراق
بر لیم از وصل می باید سخن — وصل اگر خوابم نه او ماند نه من[48]

أي قلت له اترك طريق الفراق لأن وأبغض الحلال إلى الله الطلاق، فقال لي إن الفراق هو لطف الحياة، ونعم سكر يوم الفراق (أي اليوم الذي أبى فيه إبليس السجدة لآدم عليه السلام). لم تأت كلمة الوصل على لساني قط، وإن تمنيت الوصل فلن أبقى أنا ولا هو أي الله، لأنه هوية الشيطان بالشر وهوية الرحمن بالخير إن وصل الخير إلى النشر أن يبقي الفرق بينهما).

[47] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر (1405هـ) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت: دار الكتب العلمية، ج: 2، ص: 362

[48] إقبال، محمد، الدكتور، (1994ء) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمي باكستان، من: 608

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

قد أشار الشاعر بالمصرع الثاني من البيت الأول المذكور أعلاه إلى حديث نبوي الذي أخرجه ابن ماجه. رحمه الله تعالى- في سننه، فقال:

عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله: « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »[49]

ثم يشكو إبليس إلى الله تعالى ويقول إن صحبة الإنسان قد أفسدته، لأن الإنسان في هذا الزمان لا يخالف أمره تماما. وأن الإنسان قد التفت النظر عن نفسه ولم يعرف حقيقة نفسه أي أنه هو أشرف المخلوقات كلها. يمثل الشاعر كل هذا شكوى إبليس تحت عنوان مستقل باسم شكوى إبليس. في الأخير يتمنى الشيطان أن يوجد المؤمن الذي يقول له ابتعد عني. ثم يدعو إبليس: اللهم هب لي مؤمنا حيا ضدي، ربما أستمتع بهز يمتي ضاءه۔[50]

يتضح لنا الأمر من هنا أن الشاعر تلقى الأثر من المعراج النبوي في زيارة إبليس والتحدث معه، إلا أن رسول الله ﷺ لم يرغب إليه ولم يتحدث معه واستمر سيره أماما، بالرغم من أن إبليس كان يريد أن يميله إليه ويتحدث معه. فيمكننا أن نقول إن الشاعر تأثر بأحداث المعراج النبوي في ذكر إبليس أثناء سفره إلى العالم السماوي العلوي.

وصف الجنة وما فيها

من الواضح أن فكرة الجنة ونعمها مستمدة من المصادر الإسلامية كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وقصة الإسراء والمعراج النبوي. وليست هذه الفكرة مبدعة من قبل الشاعر نفسه، بل إنها مستخرجة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاء فيها ذكر الجنة وأحداث المعراج النبوي زار رسول الله ﷺ الجنة ليلة معراجه وذكرها وما فيها من النعم بعدما أنه عاد من سفر المعراج.

كما جاء في الحديث النبوي، فقال:

ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ[51]

وصف النبي الله في هذا الحديث الجنة وما رآه داخلها من حبائل اللؤلؤ وتراب المسك، ومن ثم هناك حديث آخر الذي روي عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه وأرضاه، والذي ذكر فيها رسول الله ﷺ نعم الجنة الأخرى التي شاهدها في الجنة ليلة معراجه وهي: الأنهار المختلفة والثمرات والطيور وغيرها من النعم التي أعدها الله تعالى لعباده الأنقياء والصلحاء. فقال:

عن النبي ﷺ في حديثِ الإسراء قالَ: ثُمَّ إِنِّي دُفِعْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَاسْتَقْبَلَتْنِي جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةُ؟ قَالَتْ: لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَإِذَا أَنَا بِأَنْهَارٍ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَإِذَا رُمَّانُهَا كَأَنَّهَا الدِّلَاءُ عِظَمًا، وَإِذَا أَنَا بِطَيْرٍ هَا كَأَنَّهَا يُخَيَّلُ هَذِهِ، فَقَالَ عِنْدَهُ: « إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ[52]

---

[49] ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله ، (1430هـ / 2009م) السنن المحقق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: دار الرسالة العالمية، ج 3، ص 180، رقم الحديث: 2018

[50] البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبد الله (1422هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم و سنة و ايامه ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجال، ج 1، ص 78، رقم: 349

[51] البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبد الله (1422هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم و سنة و ايامه ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجال، ج 1، ص 78، رقم: 349

[52] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر، (1406هـ / 1986م) البعث والنشور، المحقق: الشيخ عامر أحمد حيدر، بيروت: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ج 1، ص: 143، رقم الحديث: 183

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

لو تأملنا في الحديثين المذكورين آنفاً، لوجدت أن رسول الله ﷺ وصف فيهما الجنة ونعمها المختلفة، وذكر أن الجنة فيها حبايل اللؤلؤ والمسك هو ترابها. وفي الحديث الآخر جاء ذكر الجارية والأنهار والثمرات والطيور، ومن ثم ذكر أن الله أعد لعباده الصلحاء مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا يمكن لقلب البشر خاطره، أي أنه لا يمكن للبشر أن يصفها في الكلمات والجمل.

عندما طالعنا على رسالة الخلود لوجدنا أن الشاعر تأثر بالمعراج النبوي في وصف الجنة وما فيها إلى حد بعيد كما أنه يصف الجنة ونعمها تحت عنوان الحركة إلى جنة الفردوس (حرکت بجنت الفردوس). لما يدخل الشاعر الجنة يدهش أنه قد وصل إلى العالم المختلف من العالم الأرضي. ويذكر أن الجنة ليست فيها قيود الزمان والمكان والجهة كما كان الأمر في عالم القلب للبشر، حيث أنه ليس فيه قيد الزمان والمكان والجهة.

بعد ذكر بضعة أوصاف الجنة يذكر الشاعر أنه لا يمكن له إحاطة أوصاف الجنة بالكلمات والجمل. ويلخص القول بأنها عالم النور والحضور والحياة. ثم يذكر بضعة من الأوصاف الظاهرة للجنة وما رآه الشاعر داخلها.

فيصفها الشاعر بقوله:

در زبان خود چسان گویم کہ چیست؟	ایں جہاں نور و حضور و زندگی است.
لالہ با آسودہ در کہسارہا	نہر یا گردندہ در گلزارہا
غنچہ ہائے سرخ و اسپید و کبود	از دم قدوسیاں او را کشور
آب با سیمیں ہوا با عنبریں	قصر با باقبہ ہائے زمردیں
خیمہ با یاقوت گوں زریں طناب	شاید ان با طلعت آئینہ تاب[53]

أي كيف يمكنني أن أصف باللسان ما هو هذا العالم؟ هذا العالم كله نور وحضور وحياة الزهور نبتت في جبالها والأنهار تجري في رياضها، وهناك البراعيم مختلفة الألوان التي تفتح بنفخات الملائكة مياهها بيضاء كالفضة، ورياحها مثل العنبرة وقباب قصورها مبنية بالزمرد. ومن اليواقيت صنعت خيامها التي فيها وجوه الامعة مثل المرأة (أي الحوراء).

وصف الشاعر الجنة وما فيها من النعم كالأنهار والرياض والرياح والقصور والخيام والحوراء، بالصفات التي وردت في الأحاديث النبوية في وصف الجنة ونعمها، وقال الشاعر إنه لا يمكنه أن يصف عالم الجنة بالكلمات والجمل. وهذا هي الفكرة التي جاءت في الحديث النبوي المذكور أن الجنة وما فيها من النعم هي مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا يمكن لقلب البشر خاطره أي لا يمكن للإنسان أن يخطره أو يصفه بالكلمات والجمل، فتأثر الشاعر منها وقال إنه لا يمكنه بيان وصف الجنة في الكلمات والجمل. فاستخدم الشاعر مثل الكلمات التي ثم استخدامها في الأحاديث النبوية في وصف الجنة.

قد اتضح من كل ما سبق أن الشاعر قد استمد صورة الجنة وما فيها من النعم من قصة المعراج النبوي. ثم وصف الجنة ونعمها بما جاء في الأحاديث النبوية في وصفها من الأنهار والحوراء والرياض والقصور والخيام والحوراء وغيرها من نعم الجنة التي جاء ذكرها في عدة مقامات مختلفة في الحديث النبوي الشريف.

القصور في الجنة

من الواضح أن الجنة ونعمها ذكرت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية بتفصيل كبير وخاصة في الأحاديث النبوية الواردة في بيان المعراج النبوي. زار رسول الله ﷺ الجنة ونعمها التي أعدت لمن عمل صالحا في الدنيا من المؤمنين، ومنها كانت القصور في الجنة والتي زارها رسول الله أثناء سيره في الجنة ليلة معراجه، والتي تجد ذكرها في عدة روايات واردة في بيان المعراج النبوي. كما ذكر قصر لعمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - في الجنة في رواية أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - فقال:

[53] إقبال، محمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، الأمور: إقبال اكادمى پاكستان، من 628

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ، فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [54]

تلقى الشاعر محمد إقبال الأثر بقصة المعراج النبوي في وصف الجنة ونعمها في رسالة الخلود (جاويد نامه) من عدة نواحيات مختلفة. كما أنه تأثر بها من ناحية ذكر القصور داخل الجنة التي أعدها الله تعالى للمتنعمين فيها. زار الشاعر القصور الرائعة أثناء سيره في الجنة، كما أنه ذكر في ملحمته قصر شرف النساء وقصر سلاطين الشرق تحت عنوان الحركة إلى جنة الفردوس. فيمثل الشاعر محمد إقبال قصر شرف النساء في قوله كمايلي:

گفتم: این کاشانه از لعل ناب — آن سه می گیرد خراج از آفتاب
این مقام این منزل این کاخ بلند — حوریاں پردر گھش احرام بند
اے تو دادی سالکان را جستجوے — صاحب اوکیست؟ با من باز گوے
گفت: این کاشانه شرف النساست — مرغ باش با ملائک هم نواست [55]

أي: قلت للرومي): لمن هذا القصر مصنوع من يواقيت؟ والذي جيا الخراج من الشمس. هذا المقام والمنزل والقصر العالي والذي تقوم الحوراء على بابه بالاحترام يا من وهبت للسالكين الرغبة (الرومي)! أخبرني من مالك هذا القصر؟ قال (الرومي): هذا قصر شرف النساء، والذي تغنى طائر قبته بين الملائكة (أي أنه قصر عالي جدا.

قد اتضح أن الشاعر تأثر أثناء كتابة رسالة الخلود بقصة الإسراء والمعراج النبوي في جهات متنوعة متعددة. كما أنه وصف الجنة ونعمها وأحوالها بما ورد في وصفها في الأحاديث النبوية الواردة في المعراج النبوي. ويمكننا معرفة مدى تأثره بالإسراء والمعراج النبوي في وصف الجنة والنعم فيها بذكره القصور - كما مضى - في الجنة للمتنعمين فيها.

وهكذا ذكر الشاعر قصر سلاطين الشرق [56] في منظومته أثناء سيره في جنة الفردوس، ثم يدخله ويلتقي بسلاطين الشرق ويدور الحوار بينهم عن قضايا الإسلام والمسلمين. يمكننا القول إن الشاعر تلقى الأثر بقصة المعراج النبوي إلى حد بعيد، حيث إنه أورد فكرة قصور الجنة والتي مستمدة من الأحاديث النبوية الواردة في وصف الجنة ونعمها.

اللقاء والتحدث مع الحور العين

ثبت من أحاديث كثيرة أن رسول الله ﷺ رأى آيات ربه الكبرى أثناء سفر معراجه في مقامات عدة. وكانت من الآيات التي رآها وشاهدها من خلال سفره الحور العين. جاء ذكر الحوراء ولقاء رسول الله ﷺ بمن أثناء سفر معراجه في روايات كثيرة. وليس فقط أنه رآهن وشاهدهن بل سلم عليهن وكلمهن وسألهن لمن هن؟

كما جاء في رواية أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - فقال:

ثُمَّ صَعِدَ فَلَمَّا اسْتَوَى فِي صَرْحَةِ الْمَسْجِدِ قَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ هَلْ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ يُرِيَكَ الْحُورَ الْعِينَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ فَانْطَلِقْ إِلَى أُولَئِكَ النِّسْوَةِ، فَسَلِّمْ عليهن وهن الجلوس عن يسار الصخرة، قال: فأتيتهن مسلمت عليهن فردن على السلام فقلت من أنان؟ فقلن: نحن خيرات حسان نِسَاءٌ قوم أبرار نقوا فلم يدرنُوا وَأَقَامُوا فلم يطعنوا، وخَلَّدُوا فَلَمْ يَمُوتُوا [57]

---

[54] ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حيان بن معاذ بن معبد التميمي الستي، أبو حاتم (1414هـ / 1993م) صحيح ابن حيان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج 15، ص: 310، رقم: 6887

[55] إقبال، عمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال أكادمى پاكستان، ص: 628 - 629

[56] إقبال، محمد الدكتور (1994) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال اكادمي باكستان، ص: 642

[57] ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، أبو الفداء (1419هـ) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ج: 5، ص: 10

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

تلقى الشاعر الأثر من قصة المعراج من هذه الجهة أيضا في رسالة الخلود. فلما فرغ الشاعر من كل ما جرى به في جنة الفردوس وأراد أن يخرج من جنة الفردوس ويسير أماما كي يصل إلى جوار الجمال الإلهي، والذي كان مقصود سفره وانتهاء بينما كان يريد الخروج من جنة الفردوس، تطلب حوراء الجنة منه أن يجلس معهن للحظات ويغني لهن غزله، فغنى الشاعر لهن غزله يذكر الشاعر كل هذه الوقعة في ملحمته رسالة الخلود تحت عنوان زنده رود در خصت می شود از فردوس بریں و تقاضائے حوران بهشتی زنده رود بغاد رجنة الفردوس وطلب حور الجنان[58]

يثبت من خلال ما سبق أن الشاعر زنده رود قد تأثر بأحداث المعراج النبوي إلى حد بعيد، حتى أنه ذكر لقاءه بحوراء الجنة والتحدث معهن. وهذا هو أثر مباشر للمعراج النبوي في رسالة الخلود لأن رسول الله ﷺ لقي بالحوراء وتحدث معهن أثناء سيره في الجنة ليلة معراجه و تبنى الشاعر هذا الموضوع في ملحمته ولقي بمن و تحدث معهن من خلال سيره الروحي الفكري في الجنة.

المفارقة والحضور

إن سدرة المنتهى مقام ينتهي إليه الخلق كله ولا يستطيع أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب التقدم منه غير خاتم النبيين أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب الله المصطفى محمد. لهذا السبب اعتذر جبريل -عليه السلام- أن يتقدم منه معه خوفا من الاحتراق بالنور. وهذا من شؤون رسول الله ﷺ فقط أنه ذهب أعلى منه مع أن الخلق سواه ينتهي إلى هذا المقام أو هذه الشجرة فلذا يطلق عليها اسم سدرة المنتهى. كما ذكر الشيخ إسماعيل الحقيقي تفسيره روح البيان تحت الآية الرابعة عشر من سورة النجم، فقال:

عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى وهو مقام جبرائيل وكان قد بقي هناك عند عروجه -عليه السلام- إلى مستوى العرش
و قال: «لو دنوت أنملة لاحترقت».[59]

فارق جبريل -عليه السلام- رسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى وترسه وحيد اليرفع إلى ماوراء السدرة حتى إلى مقام قاب قوسين أو أدنى. كما أخرج القاضي عياض الأحاديث التي تدل على أن جبريل -عليه السلام- فارق رسول الله قبل حضوره في حضرة الله عزوجل، فدنا النبي الله وحده من الله تعالى. فقال القاضي محمد عياض:

عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه في قوله: «دنا فتدلى» قال: فارقني جبريل فانقطعت الأصوات على
فسمعت كلام رَبِّي وَهُوَ يَقُولُ: لِيَهْدَ أَرَ وَعَكَ يَا مُحَمَّدُ اذْنُ اذْنُ[60]

بعد الاطلاع على هذا الأمر أن جبريل -عليه السلام- فارق رسول الله ﷺ عند السدرة وحضر رسول في الحضرة الإلهية وحيدًا، لو تأملنا في رسالة الخلود لإقبال لوجدنا أنه فارقه روح الرومي قبل ذهابه إلى الحضرة الإلهية وحضر وحيدًا. لا تجد ذكر الرومي بعد خروجه من الجنة إلى الحضرة الإلهية. فتأثر إقبال بالمعراج النبوي من هذه الناحية أيضا أنه يترسه الرومي إلى مقام ويرفع من هناك وحيدا. كما ذكر الدكتور الحافظ عبد القدير، فقال:

ثم تترسه روح الرومي ويصل إقبال إلى جوار الجمال الإلهي، فيتكلم بما شاء الله أن يتكلم به، ثم يتجلى ربه فجأة
بجلاله، فيعم النور الأرض والسماء فلا يستطيع الشاعر التكلم مزيدًا ويخر صعقًا، وهنا تنتهي رحلته الخيالية،
فيعود إقبال إلى دنياه، ويقدم للجيل الجديد الفلسفة التي جاء بها من وراء الأفلاك في صورة خطاب يخاطب به

---

[58] إقبال، محمد، الدكتور، (1994م) كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال اكادمى پاكستان، ص: 655

[59] حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (دون السنة) تفسير روح البيان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج 9، ص184:

[60] عياض، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، أبو الفضل (1409هـ / 1988م) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى(امتوفى: 1873ھ)، بيروت: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ج: 1، ص: 202 - 204

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

نجله جاوید »، ویجعله رمزا للجیل الناشئ.،،[61]

یظهر من خلال کل ما سبق في أن الشاعر تلقی الأثر من قصة المعراج النبوي في مفارقة الدلیل قبل حضوره في الحضرة الإلهیة. کل واحدة من هاتین الفکرتین وهما: المفارقة والحضور مستمدة من المرحلة الثالثة من مراحل المعراج النبوي. کما أن رسول الله ﷺ ذهب وحیدًا من سدرة المنتهی إلی مقام أو أدنی وتحدث مع الله عز وجل، ترک الرومي الشاعر في الجنة وذهب الشاعر من هنا وحیدًا إلی جوار الجمال الإلهي وتحدث مع الله تعالی، إلا أن رسول الله ﷺ کان سفره - عند الجمهور - حقیقیا بالجسد والروح وفي الیقظة. أما سفر الشاعر محمد إقبال کان فکریا وروحیا وتحدث مع الله عز وجل بطریق روحي إلهامي ولیس بحقیقي یظهر من هنا مدی أثر المعراج النبوي في رسالة الخلود أن الشاعر کان اطلع علی المعراج النبوي بدقة کثیرة واستمد منه الفکرة العظیمة ونظم هذه الملحمة المنظومة.

أوجه التشابه والتفارق بین الرسالتین في ضوء المعراج النبوي

قد لاحظنا في کل ما سبق مدی أثر المعراج النبوي واتجاهاته في رسالة الغفران للمعري ورسالة الخلود (أي جاوید نامه لإقبال، والآن سنلاحظ أوجه التشابه والتفارق بینهما في تلقي الأثر من قصة المعراج النبوي. فهي کما یلی

أوجه التشابه

- **فکرة العروج السماوي:** کلا الشاعرین استمدا فکرة العروج السماوي من قصة المعراج النبوي کما أنها کان أول قصة مشتملة علی فکرة العروج إلی العالم السماوي العلوي.
- **الجنة ومافیها:** قد وصلنا إلی نتیجة أن کل واحد من هذین الشاعرین تلقی الأثر من معراج النبي ﷺ في وصف الجنة ومافیها، ووصف الجنة ومافیها بصفاتها التي وردت في أحادیث المعراج النبوي. کما أنهما وصفا الجنة وقصورها وأنهارها.
- **الالتقاء بإبلیس:** زار رسول الله ﷺ إبلیس خلال سفره المعراج، فتأثر کل واحد من المعري وإقبال به والتقی بإبلیس أثناء سفره إلی العالم العلوي وتحدث معه، إلا أن إقبال ازاره في فلک المشتري ولقبه به رأس أهل الفراق. أما المعري فزاره في الجحیم مضطربا في السلاسل والقیود.
- **اللقاء والتحدث مع الحور العین:** تأثر کل واحد منهما بقصة المعراج النبوي من جهة اللقاء والتحدث مع الحور العین، فزار الحور العین وتکلمها داخل الجنة.
- **أحوال المعذبین:** تراءی الرسول الله ﷺ أحوال المعذبین أثناء سفره الإسراء والمعراج. فتنقلی المعري وإقبال الأثر من قصة الإسراء والمعراج من هذه الجهة وزارا المعذبین أثناء سفرهما وبینا أحوالهم، إلا أن إقبال لم یزر الجحیم وزار المعذبین في أحد الفلک من الأفلاک التي سار فیها.
- **الالتقاء بالشخصیات:** کما أن رسول الله ﷺ زار کثیرا من الشخصیات خلال سفره الإسراء والمعراج من مکة المکرمة إلی مقام قاب قوسین أو أدنی. فتأثر المعري وإقبال بالمعراج النبوي والتقیا بکثیر من الشخصیات أثناء سفرهما، إلا أن إقبال لم یزر الأنبیاء - علیهم السلام، أما المعري فزار النبي آدم علیه السلام - في الجنة.

هذه هي أوجه التشابه البارزة والتي اعتمدنا علیها في إظهار التشابه بین الرسالتین. وفیما یلي سنبین أوجه التفارق البارزة کي یمکننا المقارنة بینهما في تلقي الأثر من قصة الإسراء والمعراج النبوي.

أوجه التفارق

- **الدلیل:** من الواضح أن سفر المعراج النبوي تکامل بدلالة الدلیل وهو جبریل - علیه السلام.. والمعري في رسالته الغفران لم یستمر سفر بطله من أوله إلی آخره مع الدلیل. أما إقبال في رسالة الخلود (أي جاوید نامه فکان سفره من أوله إلی قبیل حضوره في الحضرة الإلهیة مع دلیله وهو الرومي.
- **شواهد المعراج النبوي:** لو تأملنا في کلتا الرسالتین لوجدنا أن المعري لم یذکر قصة المعراج النبوي ولم یشر إلیها أو لوازمها شرحا أو تلمیحا. أما إقبال فقد أشار إلی المعراج النبوي تلمیحا في مقامات عدة، ولیس هذا فقط بل أنه شرح فلسفة المعراج النبوي ومعراج العام في رسالته الخلود أو جاوید نامه).

[61] عبد القدیر، الحافظ الدکتورة (2003) المروج السماوي بین اقبال والمعرسي، شاملة اقبالیات ، المدیر الأستاذ محمد سهل عمر لاہور،إقبال أکادمي باکستان، العدد: 4، من 160

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1, 2024

- **الحضور في الحضرة الإلهية:** من المعلوم أن سفر العروج النبوي انتهى إلى مقام قاب قوسين أو أدنى في الحضرة الإلهية وفارقه دليله جبريل -عليه السلام- عند سدرة المنتهى قبيل حضوره في حضرة الله عز وجل. فتلقى إقبال الأثر منه ووصل خلال عروجه السماوي إلى الحضرة الإلهية وفارقه الرومي الذي كان دليله في سفره في الجنة وقبل حضوره في الحضرة الإلهية. أما المعري فلم يذهب بطله وراء الجنان والنيران في ملحمته رسالة الغفران.
- **سؤال من معك؟:** كلما وصل رسول الله ﷺ إلى أي سماء من السماوات السبعة خلال سفره وقرع جبريل -عليه السلام- باب السماء سأله الملك من معك؟ فيعرف جبريل -عليه السلام- الله ﷺ. تبنى الشاعر محمد إقبال هذا الأسلوب فسأل الأشخاص الرومي من معك؟، فيعرف الرومي اقبالا. ولم يتبن المعري هذا الاسلوب كما أنه ليس له دليل خلال سفره السماوي.
- **غرض الرسالة وهدفها:** يتفارق كل واحد من هاتين الرسالتين من الآخر في غرضها وهدفها. كما كان غرض المعري غرض ذاتي وهو السخرية والرد على رسالة ابن القارح. أما غرض إقبال فكان غرض اجتماعي وهو إيقاظ الأمة المسلمة وإصلاح البشر والمجتمع.

خلاصة

قد ثبت الأمر من خلال كل ما مضى في هذا الفصل عن أثر المعراج النبوي في رسالة الخلود والمقارنة بين الرسالتين أن الشاعر استلهم من أحداث الإسراء والمعراج النبوي إلى حد بعيد، وليس فقط أنه قد استلهم منه بل شرح فلسفة المعراج النبوي شرحا بسيطا. وبعد هذه التفاصيل لو واجهنا سؤال أيهما أكثر تأثرا بالمعراج النبوي؟، الأجبنا أن إقبالا أكثر تأثرا بأحداث المعراج النبوي ووقعاته في رسالته الخلود حيث إنه قدم تعاليم المعراج النبوي من خلال رسالته كي يرتقي الإنسان إلى مراتب مرتفعة ويحصل على المستويات العليا في الروحانية.